وَلَـيْـسَ يَـصِـحُّ فِـي الأَفْـهَـامِ شَـيْءٌ
إِذَا احْـتَـاجَ الـنَّـهَـارُ إِلَـى دَلِـيـلِ[١]

زرت العداة بآجالها

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة (٩٥٢م) وقد جلس لرسول ملك الروم وهو قد ورد يلتمس الفداء وركب الغلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال أحياء وألقوها بين يديه فقال أبو الطيب ارتجالاً:

[المتقارب]

لَـقِـيـتَ الْـعُـفَـاةَ بِـآمَـالِـهَـا،
وَزُرْتَ الْـعُـدَاةَ بِـآجَـالِـهَـا[٢]
وَأَقْـبَـلَـتِ الـرُّومُ تَـمْـشِـي إِلَـيْـ
ـكَ بَـيْـنَ الـلُّـيُـوثِ وَأَشْـبَـالِـهَـا[٣]
إِذَا رَأَتِ الْأُسْـدَ مَـسْـبِـيَّـةً
فَـأَيْـنَ تَـفِـرُّ بِـأَطْـفَـالِـهَـا[٤]

---

(١) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٧٦. يروى «الأذهان» بدلاً من «الأفهام». يأتي الشاعر بمثال تبياناً على رأيه مفاده أن من لا يفهم لا يمكنه ذلك رغم تكرار المحاولات لإفهامه، فما هو بيّن بيّن بذاته تماماً كالنهار بشمسه ونوره فلا يُنكر ذلك منكر.

(٢) العفاة، الواحد عافٍ: طالب الإحسان. العداة، الواحد عادٍ: الأعداء. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بمزاياه، إنه يستجيب للمحتاجين فيُقدم لهم العون المادي من مال وما يحتاجون من عون معنوي كالحماية وما شابه ذلك، وأنه دائم الزيارة لأعدائه بجيوشه يغزوهم وينزل بهم الهزائم فيُمعن بهم تقتيلاً ويُقرّبهم إلى قبورهم.

(٣) و (٤) الليوث، الواحد ليث: من أسماء الأسود. الأشبال، الواحد شبل: أولاد الأسد، يصف الشاعر المشهد، فقد استقبل الوفد الرومي بما يُثير في قلوبهم الرعب إذ شاهدوا أسداً مقتولاً وأشباله الأربعة أحياء، وبلا شكّ سوف ينقلون ما يُشاهدون إلى ملكهم ويُفكّرون بما آل إليه أمر الأسد وصغاره.